



مِنْ حَيَّاتِ بْنِ الْعَاصِمِ

بطں الفتوح و کتاب المصطفیٰ

تألیف
محمد الصبلان

تجد عدداً من القصص والسير
في موقع المفكرة الدعوية
www.dawahmemo.com

المکتب الاسلامی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة على سيدنا محمد وآلـهـ وصحبهـ أجمعـينـ وبعدـ فـهـذهـ رسـالـةـ مـوجـزـةـ فيـ حـيـاةـ عـلـمـ منـ اـعـلامـ العـهـدـ الـأـوـلـ منـ الـعـهـودـ الـرـازـهـ ، كـنـتـ قدـ نـشـرـتـ آـصـاـهـاـ مـنـذـ بـضـعـ سـنـوـاتـ ، وـرـأـيـتـ أـنـ أـخـرـجـهاـ آـنـ فـيـ دـرـسـالـةـ ، رـغـبـةـ فـيـ آـنـ تـكـونـ سـيـرـةـ هـذـاـ الـبـطـلـ الـفـدـ مـعـرـوـفـةـ مـعـلـوـمـةـ حـتـىـ تـفـعـلـ قـدـوـةـ لـلـرـاغـبـينـ فـيـ الـخـيـرـ .

أسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـنـفعـ بـهـاـ وـأـنـ يـجـعـلـ أـعـمـانـاـ خـالـصـةـ لـوـجـهـ إـنـهـ سـيـحـانـهـ نـعـمـ الـمـوـلـيـ وـنـعـمـ النـصـيرـ .

بـرـوـتـ فيـ ٢ـ رـجـبـ ١٣٩١ـ هـ
مـاـيـ٢٣ـ آـبـ ١٩٧١ـ مـ

محمدـ بنـ لـطـفيـ الصـبـاغـ

سُقْعَيْدُ بْنُ الْعَجْلَانَ

١ - علم من أعلام الإسلام ، وشاب عظيم من شباب الصحابة ، ورجل المروءة الصادقة ، والشجاعة الخارقة ، والإباء الوافر ، والسخاء الكريم •

وما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجالاً، آمنوا بالدعوة فانشرحت بها صدورهم ، واستارت بها بصائرهم، وقويت بروحهما عزائمهم وسواعدهم ، فانطلقوا في أرض الله يذكرون عروش الفساد عرشاً عرشاً ، ويقضون على المظالم ويردون على الإنسان كرامته التي سلبها منه طواغيت البشر •

كان أمر هؤلاء الفتية عجباً من العجب ، ترى فيهم الصغير الحدث ، لكنه ليس كالصغرى الأحداث ، لأن دعوة الله قد صنعته صنعاً جديداً وأشعرته أنه بهذه الدعوة أكبر من كل الناس الكافرين •

كان لسعيد عند موت النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين ومع ذلك فقد كان يعي ما يسمع أتم الوعي ، وروى بعض الأحاديث أخرج له مسلم في الصحيح وأبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد^(١) ، وعدة من الصحابة • وأود أن

(١) تقريب التهذيب والخلاصة للخزرجي •

أعرض حياة هذا الفتى نموذجاً لهذه الفئة المختارة ، لنرى فيما تأثير الإسلام في صنع الرجال .

٢ - نشأ سعيد في بيت عز ورفعة ، ينتمي إلى أمية ، وأمية في قريش معروفة المكانة ، سامية المنزلة ، كان لها المجد في الجاهلية ، وشاركت في حمل أعباء الدعوة في الإسلام ، وكان منها عثمان ذو النورين الذي ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجاً لابنته وقدم من التضحيات من أجل دعوته الشيء الكثير ، وما زال يجود بما له حتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض ، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » .

واتشر الإسلام في ظل دولة أمية في أصقاع الأرض شرقاً وغرباً حتى شمل المد الإسلامي الدنيا العمورة كلها .

٣ - وكان جده سعيد بن العاص ، ويكنى بأبي أحىحة ، رئيساً في قريش^(١) يقال له : ذو التاج ، لأنّه كان اذا اعتم لا يعتم أحد يومئذ إعظاماً له . أما أبوه فقد كان من فرسان الجاهلية قدم إلى بدر مع الكفار وقتله عليّ بن أبي طالب ، ويقال : إن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص يوماً : مالي أراك معرضاً

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٣ .

عني كأنك تظن أني قتلت أباك ، ما أنا قتله . ولو قتله ما اعتذر
من قتل مشرك ، ولكنني قتلت خالي بيدي العاص بن هشام .
فأجابه سعيد جواب المؤمن الصادق : يا أمير المؤمنين لو
قتله كنت على حق وكان على باطل (١) .

لقد أذاب الإسلام من سعيد كل عصبية ، ووضع من اعتباره
كل علاقة ، ولم يبق في تلك النفس الكريمة إلا رابطة الإيمان
أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخرروا بقيس أو نمير (٢)
أما أمه فهي أم كلثوم بنت عبد الله بن أبي قيس بن عمرو العامريه
وهكذا اجتمع لسعيد طيب الأرءمة وحسن النبيت قبيلة وجدوها
وأخوها .

٤ — وبدت عليه مخايل النبوغ وأمارات التفوق ، وسمت
سعيد مواهب نادرة . وخلال حسيدة ، ورعته مثالية ذاك الجيل
فوفرت له أسباب السمو والمجد .

خالطت بشاشة الإسلام قلبه من نعومة ألقاره ، فلم يت遁س
بشرك ، ولم يتلوث عقله بخراقة ، بل تقلب في غللال تعاليم الإسلام ،
وشب على المعاني الإسلامية وهي مهيمنة على الحياة ، وتلقى من
مدرسة النبوة الدروس ... فتخرج منها بطلاً عظيماً خالداً .
وعاش يرى بأم عينيه الحياة السامية النظيفة ، وذرورة العدالة

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٠ وتهذيب ابن عساكر ج ٦

ص ١٣٢

(٢) البيت لنهر بن توسيعة البشكري .

الشريفة ، في عهد أبي بكر وعمر .

٥ - ثم رشحته موالبه وإمكانته إلى الولاية فكان من عمال عمر على السواد^(١) وكان عمر يحبه ويسترضيه ويتحقق له كثيراً مما يطلب^(٢) .

٦ - ولما عزم عثمان على كتابة المصحف وجمعه جعله في عداد اللجنة التي وكل إليها هذه المهمة الجليلة : فكان من أبرز أعضائها لفصاحته وبلايته .

قال ابن أبي داود في «المصحف» :

حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن عريبة القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص ، لأنه كان أشبههم لهجة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) .

٧ - واستنابه عثمان على الكوفة ، فذهب إليها وإليها ، وكان ما يزال في أول الشباب ، ولم يلبث أن اتظم في جيوش الفتح الإسلامي الظافرة مقاتلاً بأسلاً ، وقارساً شجاعاً ، وقائداً منصوراً ، وفتح طبرستان وجرجان^(٤) .

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٣

(٢) طبقات ابن سعد

(٣) الخلاصة للخرجبي . والبداية والنهاية : والاصابة ج ٢ رقم الترجمة ٢٢٦٨ ، وانظر كتاب المصحف لابن أبي داود ص ٤٤ تحقيق آثر جفري .

(٤) كل المصادر .

قال الأستاذ رفيق العظم في كتابه «أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة» ج ٤ ص ٧٢٤ :

[وأما طبرستان فقد كان فتحها على يدي سعيد بن العاص أمير الكوفة من قبل عثمان سنة ٣٠ هـ ، وذلك أن سعيداً سار من الكوفة يريد خراسان بجيش فيه جماعة من الصحابة منهم حذيفة بن اليمان ، وفيه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم] .
ثم يتحدث الأستاذ رفيق العظم عن مراحل هذا الفتح ويذكر مائة سعيد في البطولة والبلاء الحسن فيقول :

[وأتى جرجان فصالحه أهلها على مائتي ألف ، ثم أتى طميسة — وهي كلها من طبرستان — متاخمة جرجان وهي على ساحل بحر الغزر أي بحر قزوين فقاتلها أهلها قتالاً شديداً حتى صلى صلاة الخوف ، وضرب يومئذٍ سعيد أحد المشركين على جبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم فسألوا الأمان فأعطواهم وافتتح سهل طبرستان والروياذ ودبادند ٠٠٠ وبذلك يكون قد كتب — رضي الله عنه — بعزته وعزمها ، وشجاعته وحزمها ، سطور المجد لأمة الإسلام ، ورفع راية التوحيد في شرقى الدنيا المعمورة يومذاك ٠٠٠]

٨ — وعندما عاد إلى الكوفة حدثت مناوشات بينه وبين أهلها انتهت به إلى ترك الإمارات والعودة إلى المدينة ، وظل في

المدينة مجاهداً ساماً يحسن إلى البائسين . ويسنح المحتاجين .
ولم يزول بالمدينة حتى وثب الناس بعشان فحصروه ، فأقام
سعيد معه في الدار يلزمهم فيمن يلزمهم . لم يفارقه أبداً . وفي
يوم من الأيام جاء سعيد إلى عشان فقال : يا أمير المؤمنين إلى متى
تستك بآيديتنا ؟ قد أكلنا أكلنا ، هؤلاء القوم : فمنهم من قد
رمانا بالنبيل . . . ومنهم من قد رمانا بالحجارة . . . ومنهم من هو
شهراً سيفه فمرنا بأمرك .

فأبى عليه عثمان ، ولكن سعيداً خرج فقاتل قاتل الأبطال
ودافع عنه مدافعة الاشداء من الرجال ، وما زال كذلك حتى
ضربه رجل يومئذ ضربة مأومة فغشى عليه . . .

وقتل عثمان رضي الله عنه ، واشتعلت نيران الفتنة الكبرى
التي تجرع المسلمين غصها دهوراً طويلاً ، والتهمت بضراوتها
أكبادهم ، وقامت الحروب الطاحنة بين علي ومعاوية ، فاعتزل
سعيد الطرفين وخرج إلى مكة ولم يشترك في صفين ولا في
الجمل . جاء في طبقات بن سعد :

[لما خرج طلحة والزبير وعاشرة من مكة يريدون البصرة
خرج معهم سعيد بن العاص ومروان بن الحكم . . . والمغيرة
بن شعبة ، فلما نزلوا مرّ الظهران . . . قام سعيد بن العاص فحمد
الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن عثمان عاش في الدنيا حميداً

وخرج منها فقيداً ، وتوفي سعيداً شهيداً ؛ فضاعف الله حسنته .
وطح سياته ، ورفع درجاته مع الذين أنعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وقد
رَعْتُمُّ اِلَيْهَا النَّاسَ أَنْكُمْ إِنَّمَا تَخْرُجُونَ تَطْبِلُونَ بِدَمِ عَشَانَ ، فَإِنَّ
كَتَمْتُ ذَلِكَ تَرِيدُونَ فَإِنْ قُتِلْتُهُ عَلَى صَدْرِهِ هَذِهِ الْمَطْيَّةُ وَأَعْجَازُهَا
فَسَلِلُوا عَلَيْهِمْ بِأَسِيافِكُمْ إِلَّا فَأَنْصَرُوكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ ، وَلَا تَقْتُلُوْ
فِي رُضْيِ الْمَخْلُوقِينَ أَنْفُسَكُمْ وَلَا يَعْنِي النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَيْئاً] *
فلم يرض مروان هذا الرأي ، وقبله المغيرة وبعه ناس من
هوازن ، ورجع سعيد بن العاص بمن اتبعه حتى نزل مكة ، فام
يزل بها حتى مضى العمل وصفين *

ولَا يَدْلِي لِلْمَرءِ مِنْ أَنْ يَقْفَ طَوِيلًا أَمَّا هَذِهِ الْحَادِثَةِ مَكْبِرًا
رجاحة عقل سعيد ، وسداد بصيرته ، وخوفه من الله ، فلقد ترك
أمويته جانباً لأنَّه لم يجد هذه الحرب في محلها ورأى أن عقيدته
لا تقرها فيما يبالى بما سوى ذلك *

٩ - وعندما استتب الأمر لمعاوية ولاه المدينة وكان يعاقب
بيته وبين مروان بن الحكم في ولائته ، ولقد حاول بعضهم
الإيقاع بينه وبين مروان ففوت عليه ذلك ، وكان لا يتكلم على
مروان إلا خيراً^(١) *

(١) انظر في ذلك الطبرى ج ٥ س ٢٩٣ و ص ٢٩٥ ط دار
المعرف بمصر .

وتوفي رضي الله عنه في المدينة وله عشر من الولد ذكوراً وإناثاً وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاصي أخت مروان بن الحكم^(١) .

١٠ - تلك أحداث حياته ، وكانت كما رأينا حافلة بالأمور الجسام ، والكرمات الباقيات . أما أخلاقه فلقد تجمعت في سعيد أكثر المثل التي يسعى وراءها كثير من الناس فلا يحظون بما يريدون . ولنقدم قبل ذكر أخلاقه نبذة يسيرة عن وصفه ولقبه ونسبة :

— كان رحمة الله شديد السمرة نحيفاً حتى وصفه العاجظ فقال :

[وكان أسود نحيفاً . . . وقال الحطيئة :

سعيد فلا يغرك قلة لحمه تعدد عنه اللحم فهو صليب^(٢) — وكان يدعى ذا العصابة ، وهذا لقب لزعيم القوم الذي يتحمل مشكلاتهم ، [طلق خالد بن يزيد ابنته آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك فقال خالد فيها :

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٣ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٥

(٣) البيان ج ٣ ص ٩٩

كعب أبوها ذو العصابة وابنه عثمان ما أكفاها بكثير [٢] — وكنيته أبو عثمان وهو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

— أما أوصافه المعنوية فقد كان الرجل مؤمناً ، مجاهداً بطلاً ، فصيحاً ، كريماً ، عاقلاً .

١١ — كان سعيد من أعمق الناس إيماناً يدلّك على ذلك موقفان مما مرّ معنا آثما .

أما أولهما : فموقعه من مقتل أبيه ، وتعذر تعلم مكانة الدم عند العرب .. كم قامت في الجاهلية حروب طاحنة من أجل دم سفك أراد صاحبه أن يثار لنفسه .

ولكن الإسلام أبطل هذه العصبية وجعل سعيداً يقول لعمر : يا أمير المؤمنين لو قتلتني لو كنت على حق وكان على باطل . وثانيهما : اعزّاله الفتنة وقد مرت معنا خطبته في بيان رأيه في هذا الموضوع .

لقد حلَّ الإسلام في قلب سعيد وملاه ولم يعد فيه مكان لعاطفة أبيوية ، ولا لرابطة قبلية وإن كان المجتمع الحديث العهد بالجاهلية في ذاك الحين يقوم على هاتين الدعامتين .

وهذا الامتحان عسير ، قلْ أن تجد فيه الناجين .

١٢ — وكان سعيد مجاهداً بطلاً ، أكفي للتدليل على ذلك بالإيماء إلى أمرين أيضاً ، تحدثنا عنهما في أحداث حياته .
أول هذين الأمرين : الفتوح العظيمة التي استطاع أن يحققها وكيف كان يجوب المنطقة الشرقية كلها وينشر فيها كلمة التوحيد لا يهاب قوته ، ولا ترده عقبة .

والامر الثاني موقفه الشجاع يوم الحصار . فلقد ضم سعيد في ذلك الموقف السوفاء إلى الشجاعة ، وخطئ ب حياته . وتلقى الأذى والجراح .

وكانت شجاعته مربوطة بعقيدته ، فلا تجدها وحدها ، كما حدث لكثير من الشجعان في الزلات التي يتعرضون لها .

فإذا حمى الوطيس في الفتوح وجدته المجلبي المقدام ، وإذا تأزم الوضع ، وغلت نيران الثورة الباطلة على الإمام الصادق أفيته هناك مقاتلاً شجاعاً لا يبالي بحياته لاحقاق الحق وإزهاق الباطل ، أما إذا كانت المعركة تشوبها الشكوك والشبهات انسحب منها وحمل غيره على الانسحاب .
وهذه شجاعة أصحاب العقيدة .

١٣ — وكان سعيد فصيحاً بليناً خطيباً وبحسبه فخرًا أن تكون عربية القرآن قد أقيمت على لسانه ، وبالله من وصف

رائع ذاك الذي ذكره مترجموه «كان أشبه الصحابة لهجة رسول الله» قال الجاحظ في «البيان والتبيين» :

[ومن الخطباء سعيد بن العاص بن العاص بن أمية . قيل لسعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : ليس عن هذا تstalk . قال : معاوية وابنه سعيد وابنه .

وما كان ابن الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة . فمن العجب أن ابن الزبير قد ملاً دفاتر العلماء كلاماً وهم لا يحفظون لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا مالا بالله [١] — ١٤ — وأما عن جوده فحدث ولا حرج ، فعن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت : إني نذرت أن أعطي هذه البردة لأكرم العرب . فقال : « أعطيها لهذا الغلام » وهو واقف — يعني سعيد بن العاص — [٢] .

كان كثيراً ما يجتمع أصحابه يوم الجمعة فيطعمهم ويكسوهم الحل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصر الصرر فيضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد [٣] .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٤

(٢) الاصابة ج ٢ رقم الترجمة ٢٢٦٨

(٣) البداية والنهاية .

وله قصص رائعة في الكرم قلَّ أن نجد لها نظيرًا فمن ذلك:
أن رجلاً من العلماء أصابته فاقة شديدة ، وافتقر حتى لم يجد
يجد شيئاً يأكله ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا يوسف بكرم
فلو ذكرت له حالك فعله يسمح لك بشيء .

ولكن العلماء كانوا ذوي نفوس عفيفة أية ، فصعب عليه
الأمر ، ورأاه كبيراً لا يقوى عليه ويجهون بجانبه الجوع والموت
فقال لها : وبِحَكْ لاتحلقي وجهي .

وألحت عليه في ذلك ، وما زالت تلح حتى جاء إلى مجلس
الأمير ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ،
وخانه لسانه فما عاد يتحرك ، وجف ريقه ، ولم يقو على السؤال .

أدرك الأمير ذلك من الرجل فقال لغمانه : انصرفوا ، ثم
قال : لم يبق غيري وغيرك فماذا ترید ؟

وهم بالكلام لكن نظراته زاغت ، والكلام الذي زوره في
نفسه تبدد ولم يستطع أن يسأل .. فظل ساكتاً ، فقام سعيد إلى
المصباح فأطغأه ثم قال : رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر
 حاجتك .

فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها
لك فاستحييت فقال له : إذا أصبحت فالق وكيلي فلا أنا .

فلما أصبح الرجل لقي الوكيل ، فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأنت بين يحمله معك .

فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى أمراته يلومها ويعنفها قائلاً : حملتني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لي إلا بدقائق أو طعام ولو كان مالاً لما احتاج إلى من يحمله ولا أعطانيه .

فقالت له زوجته : مهما أعطاك فخذ ، فإنه يقوتنا ، وتحن جياع ولم يعب الزوج هذه المرة برغبة زوجته وسخط عليها .. فما لبث أن جاءه الوكيل وقال : إنني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك .

فذهب الرجل وجاء بما أمر له الأمير ، وما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم . فقال للعلماء ضعوا ما معكم وانصرفوا . فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها^(١) .

— وسائل أعرابي سعيد بن العاص فأمر له بخمسيناتة .
قال الخادم : خمسيناتة درهم أو دينار . فقال : إنما أمرتك

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٥

بخمسينات درهم وإذا قد جاش في نفسك أنها دنانير فادفع
خمسينات دينار .

فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي . فقال له : مالك ؟ ألم
تقبض نو المك ؟ قال : بلى والله ! ولكن أبكي على الأرض كيف
تأكل مثلك ^(١) .

قال سفيان بن عيينة : كان سعيد بن العاص إذا أتاوه سائل
فلم يلث عنده ما سأله قال : اكتب علي "بمسألك سجلاً" إلى أيام
يسري ^(٢) وقد ركبته من أجل ذلك ديون كثيرة حتى اضطر ولده
عمرو أن يبيع داره الشهيرة بالقصر ليقضى ديون أبيه .

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة في قصره قال لابنه عمرو :
إذا أنا مت فأعلم قومي ، فإذا واريتني فانطلق إلى معاوية فانعني
له ، وانظر في ديني ، وأعلم أنه سيعرض عليك قضاه فلا تقبل
واعرض عليه قصري هذا . فلما مات آذن به الناس فحملوه من
قصره حتى دفن بالبيع ، وروا حل عمرو بن سعيد متأخراً استعداداً
للسفر .

فعزاه الناس على قبره ، وودعوه ، فارتحل إلى الشام ،
وكان هو أول من نعى أبيه لمعاوية ، فتوجع معاوية له وترحم عليه

(١) المصدر نفسه ج ٨ ص ٨٦

(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٣٧

ثم قال : هل ترك دينا ؟ قال عمرو : نعم . قال : كم هو ؟ قال :
ثلاثمائة ألف درهم . قال معاوية : هي علي . قال عمرو : قد
ظن ذلك ، وأمرني ألا أقبله منك ، وإن أعرض عليك بعض ماله
فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه . قال معاوية : فاقعرض علي .
قال : قصره بالعرضة . فقبل معاوية وقال : قد أخذته بدينه .
قال عمو : هو لك على أن تحصل ثمنه إلى المدينة وتجعلها بالوافية
| والدرهم الوافي أكثر من درهم ونصف ، إذ هو درهم وأربعة
وأدنى . والدائن سدس الدرهم] .

قال معاوية : نعم ، فحملها له إلى المدينة .

وشرع عمرو يفرقها في غرماه ، وكان أكثرها عطايا وعد
بها عندما كان يسأل ولا يجد ما يعطيه للسائل . وأتى في عدد
الغرماء شاب صعلوك من صالحيك قريش بصلك فيه عشرون ألف
درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه . فاستغرب
عمرو لهذا الصك ، وأرسل إلى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه
بكى ، وقال : نعم ، هذا خطه وهذه شهادتي عليه .

فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى على أبي عشرون
ألف درهم وإنما هو صعلوك من صالحيك قريش ؟

قال : أخبرك عنه ، فاسمع قصته :

من سعيد بعد عزله ، فاعتراض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألاك حاجة ؟ قال : لا ، إلا أنني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك . فقال سعيد لي : ثُنني بصحيفة . فأتته بهذه . فكتب على نفسه هذا الدين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا ، فإذا جاء شيء هاتنا .

فقال عصرو : لاجرم ، والله لا يأخذها إلا بالوا فيه . ودفع إليه عشرين ألف درهم وافية^(١) .

لقد كان سعيد يأبى أن يكون كرمه مقصوراً على حياته .. بل يريد أن يستمر بعد مماته ، ومن هنا أبى أن يتولى معاوية قضاء دينه ، ويؤيد هذا ما جاء في وصيته حيث قال لبنيه لما حضرته الوفاة :

« لا يفقدن أصحابي غير وجهي . وصلوهم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنت أجري عليهم . وأكفوهم مؤونة الطلب فإنما الرجل إذا طلب الحاجة اضطررت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يردد » . فوالله لرجل يتسلمل على فراشه يراكم موضع حاجته أعظم منه عليكم مما تعطونه »^(٢) .

(١) الأغاني ج ١

(٢) البداية والنهاية .

١٢ - هنا غيش من فيض من أخبار هذا الرجل العظيم
وما أحبل قول الفرزدق فيه :

تُرى الشَّم الْجَسَاجِعُ مِنْ قُرِيشٍ
إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَّثَانِ عَلَى

قِيَامًا يَنْظَرُونَ إِلَى سَعِيدٍ
كَأَنَّهُمْ يَرُونَ بَهْ هَلَالًا

وقال معاوية : كربلة قريش سعيد بن العاص

رحمك الله أبا عثمان ، ورضي عنك ، وجزاك عن الاسلام
خيراً فأنت معدن الكرم وأبو المروءة وصاحب الرأية وذو العصابة .
ـ إن سعيد بن العاص صورة حية رائعة لشباب ذاك
العصر ورجاله وما أحوجنا إلى مثل هذه النماذج في أيام المحن
واسعة العزة التي تجتازها أمتنا اليوم .

علينا أن نستأنف الحياة الاسلامية الفاضلة الراخمة بأمثال
هذه الطاقات ، فهي وحدها سبيل النجاة وطريق الخلاص .
« لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها إلا وهو الدين »

—